

ملك يحلم بالذهب وشعب تلاحقه الرمال

«مملكة الذهب» مسرحية تعري سذاجة الحكام وتكشف معاناة الشعوب



الذهب لا ينقذ من العطش

حاولت تركيز حبكة للعرض. كما أن العمل ككل رغم أهمية فكرته فإنه جاء سطحيًا في مواطن كثيرة، يحتاج إلى اشتغال أعمق، على عناصره، التي يمكنها أن تكون أكثر تنكيلاً وتركيزاً.

يبقى أن المسرحي التونسي حسين الحنش قد قدم عرضاً معقولاً في المجمل، ويشكر له خاصة مع الظروف الصحية التي يمر بها، وهو ما يحسب للمسرحي الذي يربط في مسرحه ويحاول دائماً فيه ومن خلاله.

وتلاحظ أن العربية عادت بقوة إلى المسرح التونسي، وإن كان ذلك صحيحاً فإنه أيضاً يثير التساؤل، خاصة إذا عرفنا بأن أغلب العروض التي تقدم بالعربية هي عروض كلاسيكية. فهل الكلاسيكية رهان المسرح التونسي الذي بلغ الذروة في وقت ما؟

خطيبة الفارس عندما علمت بمقتله، فقد جاء ريكيا للغاية، بعربية سيئة الإجراء. من ناحية أخرى يبقى لدى بعض الممثلين التونسيين بعض المشاكل في اللمسة، فيختلقون إعرابهم الخاص بالوقوف على السكون، والإشكال ليس في ذلك، وإنما في مخارج الحروف والنطق، الذي يحول الخطاب، مهما كانت أهميته، إلى وجهات أخرى، وهذا ما دأب عليه للأسف الشديد الكثير من الممثلين الذين تعودوا تادية عروض بالعربية للأطفال، وهذا خطأ آخر أشد خطراً تعود إليه في مقالات مفردة أخرى.

من ناحية أخرى لم تحقق المسرحية الحبكة الدرامية القوية القادرة على خلق الإثارة، بل كانت في نسق نمطية خطية، الحدث فبعده الحدث بنفس الوتيرة، ولو أن المشاهد الراقصة والتي تخللتها حركة

صناع العرض اللسان العربي، لكن شابت الخطاب الذي قدمه الممثلون أخطاء لغوية فادحة، أي نعر لسان في موقع سيئ ولا قضية نحوية، لكن كان يمكن تلافي ذلك، فالفكرة تحتاج إلى اللغة السليمة لتصل مقصدها.

«مملكة الذهب» عمل مسرحي يحاول نقد الاستبداد ويعري شخصية الحاكم بجرأة مقدما إياه في صورة المعتوه

من ناحية أخرى كانت لغة العرض في مواطن كثيرة ضعيفة جداً، وبلا جمالية أو تمكن، مثل المقطع الذي ورد على لسان

العرض كذلك لوحات راقصة كانت بمثابة الوصلات الدرامية بين المشاهد، وقد أجهت فيها الشباب الممثلون بشكل كبير، وكانت فعلاً ثقلاً واضحة، لكن قد تتساءل عن مدى إتقانها من عدمه، حيث جاءت بعض اللوحات بحركات اعتباطية، لا سلاسة فيها.

كما لعبت الموسيقى التي رافقت الوصلات الراقصة دورها في تأطير مسار الخيط الدرامي، لكن يبقى أن الجسد والتعبير الكوريغرافي الذي أراده صناع العرض جسراً بين المشاهد، كان متذبذباً، ويحتاج إلى الحبكة أكثر لتتغامم الحركة، ويقول الجسد والموسيقى ما لا يقوله اللسان.

الملاحظة التي ربما تكون هامة رغم أن الكثيرين يغفلونها هي اللغة، فاللغة كعنصر درامي لها أهمية بالغة، وقد اختار

تحظى اللغة بأهمية بالغة في الفن المسرحي، سواء أكانت لغة الجسد أو اللسان أو الإضاءة والسينوغرافيا وغيرها. لذا إن كان عرض يطمح إلى نقل فكرة ما إلى الناس، فعليه أولاً العناية بالخطاب اللساني والبصري الذي يقدمه، ومؤخراً لاحظنا أن المسرح التونسي في مستوى خطابه يشهد تراجعاً كبيراً.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

كان الجمهور مساء الأربعاء 17 يوليو الجاري على موعد مع العرض المسرحي «مملكة الذهب» نص وإخراج المسرحي التونسي حسين الحنش، حيث قدم العمل ضمن فعاليات الدورة 55 من مهرجان الحماصات الدولي بمدينة الحماصات التونسية.

«مملكة الذهب» عمل مسرحي يحاول نقد الاستبداد ويعري شخصية الحاكم بجرأة مقدما إياه في صورة المعتوه والمتجبر والطامع دائماً خارج حدود الواقع، هائماً في خيالاته المتولدة من جبوت السلطة المطلقة.

تحكي المسرحية، التي جاءت بالعربية الفصحى، قصة مملكة تعاني من الجوع والعطش وبيدات الصحراء تزحف على أراضيها، بينما ملكها هائم في أحلام الثروة، رافض للحلول الواقعية لصالح رعيتيه، معتمداً على مجموعة من السحرة المحتلين الذين يتحكمون به، ويؤمن أوامره بأنهم سيستقدمون ملك الجان الذي سيحقق رغبة الملك في امتلاك الذهب الذي يريده.

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

التي تحكي المسرحية، التي جاءت بالعربية الفصحى، قصة مملكة تعاني من الجوع والعطش وبيدات الصحراء تزحف على أراضيها، بينما ملكها هائم في أحلام الثروة، رافض للحلول الواقعية لصالح رعيتيه، معتمداً على مجموعة من السحرة المحتلين الذين يتحكمون به، ويؤمن أوامره بأنهم سيستقدمون ملك الجان الذي سيحقق رغبة الملك في امتلاك الذهب الذي يريده.

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

يحمل الملك بالذهب، ولا يبالي بتحذيرات أمه من هؤولا السحرة الذين بات لهم امر القصر يرتعون فيه مدبرين المكائد لكل من يقف عتبة أمام

«سيدي عبدالرحمن المجدوب» تنصح مشاهديها ألا يصاحبوا الصوفيين

ومن النصائح التي تقدمها الجوقة، أن لا تصاحب الصوفي، فهو يجعلك متنبساً بزهد تصمت ثلاثة شهور، وتتكلم ثلاثة شهور كالمجنون، وينال منك الفقر والنصب والإعياء، وكذلك أن لا تبغض صديقاً، فبئس لك منه ما نال صاحب القصر، الذي كان يبغض المجنوب وينعته بالمجنون، بالمجم، فجاءه في الحلم ونفخ في وجهه من قصبة، فصل الجذام في جسده في الصباح، فنبذه أهله وصار يعطى الطعام بقصبة حتى هلك.

المسرحية نقلت إلى خشبة سيرة المتصوف، وما قاله أثناء تنقله بين المدن المغربية المختلفة في زمن الدولة السعيدية

اتباع المخرج أسلوب مسرح الجماهير بتقديم المسرحية بطريقة المسرح اليوناني القديم، وذلك من خلال حكايات الراوية الأعمى «ترسيساس» والجوقة المصاحبة له، التي تتردد الأشعار، وترتدي الأزياء الفخمة، وتقدم الرقصات المعبرة عن الحوادث التي يرويها الراوية.

وبالرغم من صعوبة تحقيق ذات الأجواء في مسارحنا المعاصرة، التي تقدم فيها العروض، وفي العادة تكون صالات مسقفة، فلا يصل الصوت واضحا للجمهور، كما كان يجري في المسرح اليوناني، غير المسقف والمدور الشكل، الذي يسمح للجمهور بإحاطته على شكل دائرة، فبفتح للجمهور سماع ما يقال على المسرح بشكل واضح، ولولا شهرة «رباعيات سيدي عبدالرحمن المجدوب» وحفظ المشاهدين لمعظم حكمه وأقواله، لما وصل للمشاهد الكثير، مما قيل وتم ترديده على خشبة المسرح.

تبحث عنه، وأخبرتكم أنها تبحث عن فصل نذرت له للمجنوب، فقالوا لها، وصل نذرك لصاحب، وأخبروها بالقصة، ومن أخباره التي وردت في سيرته، أنه عرف بمكان دفنه بمكناس إذ مر من هناك، وغرس وتدا وقال، هنا المنتهى يا سيدي عمران.

وردت أقوال المتصوف أيضاً في مشاهد المسرحية كـ«الهم يستهل الغم والستره ليه مليحة، رد الجلدة على الجرح تبرأ وتولي صحبة» (بمعنى لا تفكر ولا تهتم فالهم يجلب الغم، أرجع الجدل على الجرح ببراً ويختفي أثره)، وقوله «الصمت حكمة ومنه تتفرق الحكام، لو ما نطق ولد اليمامة ما يجيه وليد الحنش هاييم» (أي الصمت رأس الحكمة، ولو صمت فرخ الحمام ما هاجمته الأفعى) و«راح ذاك الزمان وناسه وجاء ذا الزمان وفلسه، وكل من يتكلم بالحق كسروا له راسه» (ذهب زمن الطيبين وجاء زمن المال، وكل من يقول الحق يُكسر راسه) و«كسبت في الدهر معزة وجبت كلام رباعي، كاذباً من عطاه ربي ويقول عطاني دراعي» (رثني ربي عزاً والهمني زجلاً رباعياً وكل من أعطاه ربي يقول عطاني دراعي).

ونقلت مشاهد المسرحية ما عرف بفن البسطة -جمعها البسط- وهو فن المشهد القصير جداً، الذي يستمر لأقل من دقيقة وفيه تمثل حادثة فكاهية واحدة أو يقال خلال المشهد القصير قول ماثور واحد أو حكمة غناء ورقصاً مع مصاحبة آلات موسيقية، كالتبل والمزمار والصنوج والآلات الوترية التراثية. ويتألف المشهد الواحد من عدة بسط، يحكيها الراوي ويشاركه الكورس بترديد الأهازيج الشعبية برفقة التبل والصنوج والرقص والألعاب البهلوانية، وحركات المهرجين ومرمي القردة، ومرتدي الأقنعة لحيوانات ومخلوقات أسطورية، ولناخزي النار، وتتويع حركات الجسد.

وأحوال الناس وعلاقاتهم الاجتماعية فيها واعتقاداتهم من خلال الرقص والموسيقى، وترديد أشعار المجدوب الزجلية. نقل كل ذلك عبر سرد سيرة المجدوب، التي وردت كمقاطع غنائية بالدارجة في رباعياته الزجلية المعروفة في التراث الشعبي المغربي بحكمها ومعارفها، والتي لا يزال المغاربة يرددونها منذ قرون وإلى يومنا هذا.

ومن المشاهد التي تروى عن محكيات سيدي عبدالرحمن المجدوب، أنه كان مع عدد من مرديه يزورون مدينة مغربية، يعلمون الناس فيها، ويحثونهم على طرد الغزاة البرتغاليين من مراكش وفاس وأغادير التي احتلواها، ومروا بقطيع من البقر، فطلب منهم أن يأخذوا فصلاً من بينها، ليذبحوه، ويولوا منه لمريديه وتابعيه. وتعجب التابعون، فهذا الفعل في اعتقادهم حرام ولا يجوز أخذ مال الغير من دون إذنه، ولكن لم يمض وقت طويل حتى وفدت صاحبة الفحل

كيف كانوا يعتقدون بشيوخهم من أهل الدين والتصوف والصالح. ونقل مُعد المسرحية الأخبار والحكايات على لسان الراوي -مثل دوره الصديق مكار- وما رددته السنة الكورس.

لوحات المسرحية نقلت حكاية الشاب، الذي حاول أن يتعلم فنون حكاية الرواية الشفهية في إحدى حلقات جامع الفنا بمراكش، فسمع سيرة سيدي عبدالرحمن المجدوب، وأشعاره الملوقة بالحكم تتردد على السنة «الحلايقية» في الساحة، فأعجبته سيرة المجدوب حذ التولاه والهيام بشخصه، فجنبه ولعه بالشيخ للانتقال إلى عصره.

انتقال الشاب من عصرنا إلى عصر المجدوب جعل المشاهدين يرون ما حدث لهذا المتصوف والمصلح الاجتماعي الكبير، وما كان يحدث في تلك المدن،

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

زاوية أوقفت على الفقراء وأصحاب الحاجات، وكان شيخاً لطريقة الشاذلية الصوفية.

المسرحية نقلت إلى الخشبة سيرة المتصوف، وما قاله أثناء تنقله بين المدن المغربية المختلفة في زمن الدولة السعيدية، التي حكمت المغرب بين (1554-1659م) وصورته وهو يحث المغاربة على تحرير بلادهم من المستعمر البرتغالي، الذي احتل أجزاء من بلادهم وهدد الأخرى بالاحتلال، وأنشأ المجدوب فيهم روح التقوى والصالح، ما أدهش المشاهد المعاصر، ورسم له أحوال وتفكير المغاربة وأفعالهم قبل قرون. وجعلهم على معرفة بحالهم

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

تحوط محكيات حلقات جامع الفنا بمراكش، وأقوال قصاصيه إلى مشاهد في مسرحية «سيدي عبدالرحمن المجدوب» التي قدمتها فرقة الناس على مسرح محمد الخامس بالرباط، وعرضت كذلك في مدن مغربية أخرى واستقبلت في كل مدينة بحفاوة. وقدمت كذلك في دول أخرى، كالإمارات العربية المتحدة وفرنسا وإيطاليا بحضور جماهيري مميز. وقد أعد المسرحية وأخرجها محمد مفتاح، عن مسرحية قديمة للطيب الصديقي عرضت العام 1966، لتقدمها مؤخرًا فرقة الناس برؤية عصرية.

نقلت مشاهد المسرحية سيرة الصوفي سيدي عبدالرحمن المجدوب، الذي عاش في القرن السادس عشر، والمجدوب عرف من عدة قرون بين المغاربة، حكيم وعارف، وزجال، وشيخ صوفي عظيم الحلال، فهم الحياة وزهد بمباهجها وعاشها كفقير. درس سيرة من سبقه من المتصوفة بفاس، واتبع آثارهم في التقوى والفضل، والحكمة، كالشيخ علي الصنهاجي وأبو الراوي وأبو العباس أحمد بن عبدالواحد، وأبومحمد عبدالحق الزليجي، وعمر الخطابي الزرهوني وسيدي أبي رعي.

والمجدوب حسب سيرته التاريخية (1503-1568م) عرف الأخبار قبل وقوعها، وروى الرواة عنه من خوارق، وأفعال عجيبة، وأمثال تداولها الناس، وحفظوها كمسلمات حياتية، وله

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس

سيرة صوفي خارق يتناقضها الناس